جدليّة العلاقة بين النّص الأدبي والمناهج النّقدية الحديثة والمعاصرة.

The dialectic of the relationshipbetween the literarytext and modern and contemporarycriticalapprouches.

ط.دغنية جدع[1,*]

[1]جامعة ، الوادي، (الجزائر)، الايميلghania-djedaa@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2021/08/10 **تاريخ المراجعة**:2021/10/17 **تاريخ النشر**: 2022/06/15

ملخص:

تربطُ النّص الأدبي علاقة جدليّة بالمناهج النّقديّة، تتراوح بين الاتّصال والانفصال، وذلك كنتيجة لتطوّر النّص وآليات قراءته تبعا لذلك، فلا وجود لمنهج نقدي دون نص إبداعي ظهر قبله، ولا بقاء للنصّ ما لم يقيّمه منهج، بيد أنّ هذا الاتّصال سرعان ما تحوّل إلى انفصال؛ بتباين نظرة المناهج النّقديّة لعناصر الإبداع، فمن المؤلّف وحالته النّفسيّة وبيئته، إلى النصّ ولا شيء خارجه، تغيّرت الدّلالات وتباينت المقاصد، وصار المنهج سيّدا على النص، وغاب الحياد عن القراءة بظهور الغايات الإيديولوجيّة للنقّاد، وتولّدت عدّة إشكاليات، نذكر منها: فوضى القراءة وبروز الفكر الإقصائي للنّظريّات والمناهج، وكذا إشكالية الموت، كموت المؤلّف مع "بارت"، و'موت النّقد' مع "الغذّامي"، و'موت النّاقد' مع "ماكدونالد"، ليظهر أخيرا النّقد المعرفي محاولا حلّ هذه الإشكاليّات.

الكلمات المفتاحية: النّص الأدبي، مناهج النّقد ، اتّصال، انفصال، الإقصاء، إشكاليّة الموت.

Abstract:

The literarytext has a dialecticalrelationshipwithcriticalapproaches, rangingbetween communication and separation, as aresult of the development of the text and the mechanisms of itsreadingaccordingly.There is no criticalapproachwithout a creativetextthatappearedbeforeit, and thereis no survival of textunlessitisevaluated by a curriculum, but thisconnectionquicklyturnedinto a separation, by the contrast of thecriticalcurriculum'sview of the elements of creativity, from the author, hispsychological state and environment, to the text and nothingoutsideit, the connotations changed and the purposesvaried, the methodbecame master over the text, and neutralitywas absent fromreading,due to the emergence of ideological goals of critics, and serveralproblemsweregenerated, including: the chaos of reading and emergence of the exclusionarythrough fortheories and methods, as well as the problem of death, such as the death of the authorwithbarthes,thedeath of criticismwith EL-gadhami , The death of criticwith McDonald, to finallyappear cognitive criticismtrying to solvetheseproblems.

***Keywords**: Literarytext, Criticismmethods, Connection, Separation, Exclusion, The problem of death.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

تُشكّل العلاقة بين المنهج النّقدي والنّص الأدبي قضيّة نقديّة، ذات أهميّة كبيرة في الدّرس العربي، حيث اشتغل العديد من النقّاد والباحثين عليها، بطرحهم الكثير من الأسئلة، الّتي فتحت المجال أمام ميلاد قضايا إشكاليّة مرتبطة بها بالضّرورة: كإشكاليّة المنهج في النّقد الأدبي، إشكاليّة المصطلح، والتّأصيل لأحدث المسمّيات الحداثيّة والمعاصرة في التّراث، ولعلّ تحديد طبيعة العلاقة بين النّص والمنهج غدا أمرا ضروريّا، فهل هناك توافق بينهما أم لا؟ هل يراعي هذا الأخير خصوصيّة النّص المدروس؟ أم ينتهكها باسم القراءة التّأويليّة الّتي تقتل المؤلّف، ومقولات النّقد التّفكيكي التي تُهمّش كلّ مركز؟

فغدا النصّ الإبداعي كالكرة بين المناهج الأدبيّة –إن صحّ التّعبير- فبين السّياق والنّسق، وبين العتبات والرّموز، وبين الهامش والمركز يوجد النّص وتنتج الدّلالات، أو يولد نصّ جديد بميلاد قارئ عُدّ مُنتجا للمعنى، وهو ما يجعلنا نتساءل أيضا: هل هذه المناهج تسعى للكشف عن حقيقة ما يريد النّص قوله؟ أم أنّ رحلة البحث عن المعنى انتهت بتتبّع الشّكل والنّسق البنائي للنصّ؛ إثباتا لنجاعة الآليّة المنهجيّة؟ أو هي طموح للكشف عن مرونة المنهج، بمصطلحاته، وتقنيّاته التّحليليّة؟ أو أنّ الدلالات التي يصل إليها القُرّاء صارت مرتبطة بالمنهج أكثر من ارتباطها بالنّص الأدبي؟

عناصر البحث:

1-النّص الأدبي بين المناهج السياقيّة والنّسقيّة.

2-انفتاح القراءة النّقديّة على التأويل وحريّة القراءة.

3-موت النّقد الأدبي بميلاد النّقد الثّقافي: هل هيّ حقيقة معرفيّة أم تلفيق منهجي؟

4-النّقد الأدبي ومقولات الموت: موت المؤّلف، موت النّقد الأدبي، موت النّاقد.

5- جدليّة العلاقة بين النّص الأدبي والمنهج النّقدي: هل هي علاقة اتّصال أم انفصال؟

أوّلا-النّص الأدبي بين المناهج السّياقيّة والنّسقيّة:

يُشكّل النّص الأدبي محور اشتغال النّقد وصميم بحث النقّاد، لكشف أغواره ومدلولاته، ولمّا كان هذا الأخير رافضا الثّبات، وطامحا أكثر خلف التّجدّد والتّجريب، تطوّرت آليات القراءة النّقديّة تبعا لذلك، كما أنّ رحلة البحث في شعريّة هذا المتن الإبداعي حتّمت تنمية وتنويع المناهج؛ قصد استنطاق النّص المدروس، من هنا يلجأ النّاقد الأدبي لتطبيق الأسس المنهجيّة الّتي يؤمن بنجاعتها في الكشف عن جماليّة وفنيّة النّص فتبَايَن تلقّي النّص الأدبي بين النّقاد.

فمنهم من تبنّى المناهج السّياقيّة الحديثة الّتي تستثمر التّاريخ، ومقولات علم الاجتماع، والنّفس، فاهتمّت بما هو خارج عنالنّص: المؤلّف وظروفه المحيطة به والتي ساهمت في تكوين الأديب و ظهور العمل الأدبي، فغدا النص بمثابة وثيقة تاريخيّة للإبداع، وبحث في نفسيّة الأديب، حياته وتجاربه، ليصبح كوثيقة

نفسيّة لمؤلّفه، وأخرى اجتماعيّة حينما اعْتُبِرَ النّصُ مرآة عاكسة لما هو موجود في المجتمع من قضايا ومشكلات، فكان السّياق مِحور العمليّة النّقديّة، ومن هنا جاءت المناهج النّسقيّة الّتي أفادت بشكل كبير من الدّرس اللّساني كردّ فعل على عمل هذه المناهج الخارجيّة، وعكست النّظرة السّابقة بتركيزها على داخل النّص ونسقه اللّغوي .

حيث تهتمُّ المناهج النّصيّة بالبنية اللّغويّة، وتدرس مستوياتها الصّوتيّة، الصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، مهتمّة بالمتن المدروس في ذاته ولأجل ذاته مُتَبَنِّيَةً أهمّ الثّنائيات اللّسانيّة والآليات السّوسيريّة، قاتلة المؤلّف مؤمنة بالنّص ولا شيء خارجه، وفقا لمبدأ المحايثة وذلك في إطار الدّراسة البنيويّة، والأسلوبيّة،والسيميائيّة الّتي تتبّع الرّموز اللّغويّة وتتجاوزها إلى ما هو خارج عنها.

وتبعا لظروف عديدة ظهرت مناهج ما بعد الحداثة، ووُلِدت استراتيجيّات قرائيّة تبحث في النّص عن ما هو أبعد من الدّلالات الظّاهريّة والمعنى الإيديولوجي، من خلال نقطة تبدو هامشيّة كما هو الشّأن مع استراتيجيةّ التّفكيك، الّتي فتحت الآفاق أمام القارئ؛ ليستمتع بلعبة إرجاء الدّلالة وتأجيل المعنى، أو النّقد الثّقافي الذّي يسعي للكشف عن نسق ثقافي، يُثبت تسلُّل عيوب الثّقافة إلى النّص فتجاوَز النّقد الثّقافي رحلة البحث عن جماليّة الأدب إلى رحلة الكشف عن عيوبه وأنساقه المضمرة، فصرنا نبحث في النّص عن أنساق وتقسيمات بنائيّة ونتتبّع هوامشا؛ لنكشف فقط تناقضاته.

فيتشكّل المعنى من خلال النّص ذاته في إطار المنهج النّسقي، أو عبر السياق في ظلّ المناهج الخارجيّة، وتتباين القراءات وتتعدّد التّأويلات باختلاف وجهة نظر النّاقد للنّص المدروس، وبحسب آليات المنهج النّقدي والنّظريّة المتّبعة.

كما ظهرت مناهج تهتّم بما هو داخل النّص وما هو خارج عنه، كما هو الشّأن في التّداوليّات الّتي تهتمّ بكلّ ما يدخل ضمن عمليّة التّواصل.

ثانيا- إشكاليّات القراءة النّقديّة:

يخلق التّنوّع المنهجي تنوّعا في القراءة النّقديّة للنّص الأدبي من جهة، وهو ما يضمن استمراريّة النّص وتحقيقه لإنتاجيّة قرائيّة، لكنَّ السّؤال المطروح: ألن تُلغي قراءة نقديّة لنصّ ما القراءة الّتي سبقتها على افتراض مقاربته من لَدُن منهجين متعارضين أو أكثر؟ هل سيكون هناك تناقض بين القراءات لاختلاف المنهج ؟

فمثلا مقاربة قصيدة بمنهج سياقي تاريخيّ يربطها بفترة ما، وبمنهج نسقي يهتمّ ببنيتها اللّغويّة كاشفا عن ثنائيات متضادّة تحكمها، سيركّز على النّص دون سياقاته، أو عندما نقوم بتفكيكها بغرض كشف تناقضات البنية، فبين منهج يؤمن بالتّاريخ والكاتب ، ومنهج يقتل المؤلّف ويركّز على اللّغة ولا شيء خارجها، واستراتيجيّة تُفكّك كلّ مركز وتؤمن بتناثر المعنى ستتعدّد القراءات وتنفتح، لكنّ النّصَ الواحد الّذي سيخضع لمختلف هذه القراءات سيفقد خصوصيّته، وربّما حتّى القراءات ستصل إلى نتائج متناقضة؛ لاختلاف الآليّات والمنظومة الإيديولوجيّة لكلّ منهج نقدي، وهو ما ولّد عدّة إشكاليات، وكمثال على ذلك تفكيك قصيدة لشاعر ملتزم أو نصّبإيديولوجيّة دينيّة، حيثُسينأى القارئ التّفكيكي عن مقصديّة المؤلّف وهو يتتبّع تقانات التّفكيك، الّتي لا تمركز حتّى المفاهيم الدّينيّة، وتعتبرها مفاهيما ميتافيزيقيّة وجب خلخلتها وكشف تناقضاتها من خلال تناقضات البنية.

وهنا سنقف أيضا عند أحد إشكالات النّص والمنهج النّقدي، حيث صارت قراءة النّص قراءة في طواعيّة المنهج وسعيا لإثبات مدى نجاعته في المقاربة، وكأنّ النّص تنحّى جانبا وصار هامشا وأمسى المنهج مركزا، وتمّ تجاوز مقولة 'الجابري' -في حواره مع 'جهاد فاضل' بمجلّة الجيل-: "أنّ طبيعة النصّ هي الّتي تفرضُ المنهج ولا طاعة لمنهج في معصية النّص" وغدت النّظريات النّقديّة متصارعةً فيما بينها بين السياق والنّسق، النّص وموت مؤلّفه، ميلادُ القارئ بموتِ الكاتب، ميلاد النّقد الثّقافي بانتهاء النّقد الأدبي.

وإن كان هذا الأخير يسعى لقتل النّقد الأدبي فلماذا استثمر مقولاته؟ وما تبرير هذه التّغيّرات الطّارئة: هل هو عجزٌ في طبيعة المنهج النّقدي العربي التّابع للغرب؟ أم هو عجز في الكشف عن جماليّة النّصوتقييمه؟ أم أنّ عصر الجماليّة ولّى وفات ببروز رحلة البحث عن الأنساق المضمرة والعيوب النّسقيّة؟ أم هو موضة نقديّة يولد منهج ليُنهي ما قبله؟ وهل فكرة التّكامل المنهجي تلفيق معرفيّ أم ضرورة منهجيّة للحفاظ عن المناهج الّتي تعرف وضعا إقصائيّا وإشكاليّا؟ وأخيرا هل انتهى المنهج النّقدي بميلاد النّقد الثّقافي؟ وهل النّقد الثّقافي سيموت بميلاد النّقد المعرفي؟ وهل سيكون مصير الدّرس النّقدي العربي تابعا للآخر الذّي يؤمن بالتّفكيك والتّجاوز؟

كما تمّت الإشارة سابقا فإنّ دورة تقييم النّص الأدبي شهدت مراحل متباينة في النّقد الحديث والمعاصر، حيث تجاذبته نظريّات ومقولات متباينة تبايُنَ إيديولوجيّاتها الّتي تحملها بين طيّاتها، فالمصطلحُ كلمّةٌ مكثّفة وحاملة للفكر عرف تعدّدا اصطلاحيّا في النّقد العربي؛ نتيجة لعدّة عوامل، لعلّ أبرزها أنّه " نشأ في أحضان الفلسفة الغربيّة وترعرع بين جنباتها، وبالتّالي سيتحيّز المصطلح لبيئته الحاضنة له، وسيكون خادما لفلسفتها وباعثا لحضارتها وفكرها الفلسفي والاجتماعي"1 دون أن نُغفل حقيقته كوافد من عند الآخر الّذي له طريقته في التّفكير ونمطه الحضاري المغاير للمشرقي في اللّغة، والوعي، والتّكوين، فإذا كان للمصطلح خصوصيّته وخلفيّته فللنّص أيضا كينونته الخاصّة.

وإذا كان المصطلح كلمةٌ حمّالةُ أوجهٍ وإيديولوجيات فما بالك بالمنهج النّقدي الّذي تلتفُّ حوله العديد من التّسميات والملفوظات زيادةً عليها الأفكار، فغدا النّص محطّ اهتمام الدّارسين والنّقاد الذين تبنّوا مناهج سياقيّة وأخرى نسقيّة؛ إيمانا منهم بشرعيّتها في الكشف، وقدراتها على استكناه مدلولات الخطاب المدروس، سواء كان شعرا أو نثرا.

من هنا تباين تقييم النّص الأدبي بتباين النّظرة لعناصر الإبداع ودائرة الاهتمام بالمنهج، حيث كان الانشغال منصبًّا على المؤلّف في إطار المناهج السياقيّة: التّاريخيّ والاجتماعي والنّفسي، وكذا التّكاملي، وبالنّص في إطار المناهج النّسقيّة: بنيويّة، أسلوبيّة وكذا سيميائيّة، لتهتمَّ هذه الأخيرة بالنّص ولغته في إطار مستويات وأنساق بنائيّة تصل حدّ التّناقض، ومناهج اهتمّت بفرادة المبدعِ وكَشْفِعبقريّته الإبداعيّة، واكتناه ما وراء الأسماء والأشياء والألوان والرّموز من دلالات، لتأتي مناهج ما بعد البنيويّة وما بعد الحداثة مُعلنةً عن انفتاح القراءات على التّأويل.

وَلَّدَت علاقة النّصِ بالمنهج النّقدي عدّة إشكاليّات، لعلّ أوّلها لاحيادُ القراءة النّقديّة، وثانيها إشكاليّة المصطلح غير البريء، وكذا إشكاليّة المنهج في حدّ ذاته بين القبول والرّفض، ولعلّ أهمّ هذا القضايا الإشكاليّة هو السّعي لإثبات القدرة التّحليليّة للمنهج ولو على حساب النّص، كما يجدر بنا الإشارة إلى إشكاليّة نُشوء الفكر الإقصائي والموضة النّقديّة الّتي تُهيمن على النّقد، على مستوى النّظريات والمناهج، حيث وُلدت من رحم

التّجاوز، وصنعت مفهوم الموت الّذي يرجع للفلسفة العدميّة الغربيّة،ونمط الفكر التّفكيكي الغربي الّذي يرفض الثّوابت، وهي أفكار وخلفيات بثّت في مناهج ونظريّات الغرب الوافدة إلى النّقد العربي.

ثالثا- النّصُ الأدبي وفعل القراءة والتّأويل، تعدّد الدّلالات وإشكاليّة فوضى القراءة.

فتحت نظريات القراءة ومناهج ما بعد البنيويّة والحداثة المجال أمام التّأويل، وتعدّد القراءات الّتي ساهمت في تعدّد دلالات النّص، حيث خضع النّص الإبداعيُّ قبل الستّينات لقراءات سياقيّة، و لمقاربات محايثة ولسانيّة وأخرى ديناميكيّة تُؤمن بالتّداخلِ والتّفاعلِ ، لتغدو" أنطولوجيّة النّص لا تحيل على بنية متجانسة أُحاديّة، بل على أنساق وشفرات متعدّدة ومستويات مختلفة ظاهرة ومُضمَرةٍ، ثمّ هناك قراءة باعتبارها أيضا ديناميّة تتخلّلها شفرات وأنساق متعدّدة وسياقات مختلفة، بحيث إنّ بناء الدّلالة يتولّد من هذا التّفاعل"2 فكلّما اختلفت آليات القراءة النّقديّة تباينت الدّلالة، وتحقّقت إنتاجيّة في القراءة.

يرى 'محمد بوعزّة' أنّ تعدُّدَ دلالات النّص يرجع إلى "طبيعة النّص كشبكة من الاقتباسات والتّحويلات لنصوص سابقة، تُقاوم كلّ تفسير أحادي، يقمع حريّتها في الانتشار"3 حيث ترجع تلك التّعدّديّة لمكوّناتها، وعناصرها، وما لها من أبعاد، وخلفيّات، وعلامات، لتداخلها مع نصوص سابقة.

حاول 'ربرتألتير' تصنيف هذه الدّلالات على النّحو التّالي: "البنية الأسلوب، السّياق، المجاز، التّركيب المنظور، النّبرة، الوهم، التّلميح، التّكرار، الأعراف، النّوع، التّقطيع، المادّة، الرّسم الطّباعي، التّشخيص، الحافز، الموضوعيّة، الإحالة خارج الأدبيّة4" فنقَدَه 'محمد بوعزّة' معتبرا هذا التّقسيم "جردا كمّيا، يفتقد للتّأطير النّظري والمفهومي"5 كما ينتمي إلى نسق واحد، وراح يتحدّث عن تقسيم 'بنيامين' و'باختين' للنّص، إذ حدّده الأوّل في أبعاد ثلاثة هي6:

1-المتكلّم، الموقف، الصّوت.

2-المعاني والإحالات.

3-النّص المنظّم.

والثّاني صاغها في مقولات ثلاثة هي: المحتوى، المادّة والشّكل، ليعتبر 'محمّد بوعزّة' فعل القراءة عمليّة تركيبيّة ديناميّة بين عدّة استراتيجيّات، لا تقوم على النّظرة السّكونيّة للنّص، وإنّما المتفاعلة والمتعدّدة الّتي تتأتّى عبر الإنتاجيّة القرائيّة وعلاقة النّصوص بعضها ببعض، ومن خلال التّأويل الّذي يبحث عن المعنى خارج اللّغة والنّص، وصار المعنى لدى القارئ، وجاء نصُّ القارئ كبديل عن نصِّ المؤلِّف.

ليكتسب النّصُ بذلك دلالاتٍ مختلفةٍ بحسب المنهج المتّبع، محايثة لسانيّة تبعا للمنهج البنيوي، رمزيّة تبعا للسيميائيّة، وجمالية تُركّز على فرادة الأديب تبعا للنّظرة الأسلوبيّة، وتداخُلا وتفاعلا للنّصوص طبقا لاستراتيجيّة التّناص، وهو ما يجعلنا نتساءل: هل الدّلالة تتحدّد من خلال طبيعة المنهج؟ هل النّص هو الّذي يقول أو المنهج هو الذّي يفرض عليه ما يقول؟ وهو ما يحيل على حقيقة تطويع النّص للمنهج.

وفي سياق القراءة والدّلالة يرى 'محمد بوعزّة' "أنّ التّحوّل الدّلالي للنّص الواحد، عبر مسيرة تلقّيه، لا يرجع إلى تعدّديته البِنَويّة كنصّ أدبي في ذاته، وإنّما يكمن –أساسا-في التّحوّل في معايير "التّجنّس القرائي"، أي مجموع القيم اللّسانيّة والأعراف الثّقافيّة الّتي تُشكّل أفق انتظار القارئ، ويعتمد عليها في تأويل نصّ"7 ويضرب مثالا

لذلك بفعل التّرجمة الّتي تتباين من لغة لأخرى؛ نظرا لتباين الثّقافات والفكر، وهو ما يؤدّي بدوره إلى تباين السّياق، ومنه تعدّد المعاني وتحويل دلالي بفعل التّلقي وسياقه، وهو ما لا تربطه علاقة بالنّص الأصل.

ليصل بنا في الأخير إلى أنّ التّأويل أنواع: مطابقٌلمقصديّة النّص، ومفارقٌ يؤمن بالتّعدد الدّلالي، وهو نوعان: مُتناهي: تحكمه مسارات تأويليّة لسانيّة وثقافيّةيُنسب إلى 'إيكو'، والّذي حدّه بمفهوم التّشاكل الّذي ينفي اللّانهائيّة في التّأويل، دامجًا قصديّة القارئ بقصديّة النّص في إطار ما سمّاه التّعاضد النّصي، معتبرا أنّ "النّص يستشفّ وُجود قارئ نموذجي، يكون جديرا بالتّعاضد من أجل التّأويل النّصّي، بالطّريقة الّتي يراها هو المؤلّف، ملائمة وقمينة بأن تؤثّر تأويلا بمقدار ما يكون فعله (المؤلّف) تكوينيّا"8 وهو ما أثنى عليه 'بوعزّة'، أمّا النّوع الآخر من التّأويل فغير متناهي؛ أي يُؤمن بلا محدوديّة الدّلالة، والّذي يمثّله 'جاك دريدا' بنظرته التّفكيكيّة للنّص كدوال تربطها علاقات بدوال أخرى تُحيل عليها، مُعلنا عن اللّعب التّفكيكي بالنّص كأثر، وكعلامة، حاضرة تُحيل إلى أخرى غائبة ودلالات مؤجّلة.

وقد حاول 'محمد بوعزة' في كتابه 'استراتيجيّة التّأويل' استخلاص خصائص كلّ مذهب تأويلي: الأوّل يحدّد الدّلالة والآخر يُطلقها، وراح يُبدي رأيه من خلال النّص ذاته، والّذي يتشكّل –حسب رأيه- من حقيقة واحتمال، ما هو مُمْكن وما هو مستحيل، وهو ما يقتضي تتبُّع المعايير اللّسانيّة والأجناسيّة للنّص من جهة؛ كونه يحمل دلالات ومقاصد حقيقيّة وواقعيّة، ومن جهة أخرى، هناك ما هو غامض في النّص، يسعى القارئ لتأويله، انطلاقا من مناطق اليقين في النّص، فتنشأ دلالات واضحة، بيّنة، وظاهرة، وأخرى محتملة وممكنة، فمنها ما لا يحتاج إلى تأويل ومنها ما يتطلّب التّأويل.

من هنا راح 'محمد بوعزة' يعتبرُ" رهانَ التّأويلِ متناهيًا، يقف عند لحظة معيّنة من سيرورة القراءة، لإضفاء معنى على النّص، مسوغ نظريّا، لتحقيق درجة معقولة من الملائمة والمقبوليّة"9وهو ما يجعله واقفا في المنتصف بين طروحات التّأويل البنيوي الّذي يحصر الدلالة داخل النّص، و التّأويل التّفكيكي الّذي بالغ في مركزته للقارئ على حساب النّص، فاستراتيجيّةُ التّأويل عند 'محمد بوعزّة' تكون من خلال تفاعل القارئ مع النّص، ما يقوله النّص صراحةً ووضوحًا لا يستدعي تأويلا، وما هو غامضٌ فيه قابلٌ للتّأويل.

وإذا ما تحدّثنا عن التّأويل سنستحضر تعدُّد القراءات للنّص الواحد بتعدُّد القُرَّاء له، وهو ما يُنتج إشكاليّة فوضى القراءة إذا ما ولَّدت قراءاتٍ متناقضاتٍ وقُرّاء غير متخصّصين، وكذا إذا ما قُرِئَ النّص الواحد بأكثر من منهج تُخالف إيديولوجيّته وآلياته المنهج الآخر.

وفي سياق الإشكالات النّاتجة عن علاقة النّص الأدبي بمناهج النّقد وبعمليّة القراءة، وُلِّدَت حقول معرفيّة جديدة، تدّعي القطيعة مع النّقد الأدبي، وأخرى تسعى لحلّ إشكالات هذا الميدان الجديد، حيث أنّ نشأة النّقد الثّقافي الّذي انتقل إلينا بفعل التّرجمة من عند الغرب ولّد فكرا إقصائيّا للنّقد الأدبي، في تصوّر 'الغذّامي' المغاير لتصوّر 'ليتش'، حيث أعلن النّاقد السّعودي أنّ النّقد الثقافي يعني موت النّقد الأدبي، عكس 'ليتش' الّذي ينفي القطيعة بينهما، وصار التّعامل مع النّص كنظام ثقافي له وظيفته النّسقيّة، يُنتجُه كاتب حقيقي وكاتب ضمني هو الثّقافة.

رابعا-موت النّقد الأدبي بميلاد النّقد الثّقافي: هل هيّ حقيقة معرفيّة أم تلفيق منهجي؟

أعلن النّاقد السّعودي 'عبد الله الغذّامي' موت النّقد الأدبي بميلاد النّقد الثّقافي، ذلك أنّه يعيش سنّ اليأس، وأنّه مصاب بالعمى الثّقافي؛ كونه لم ينتبه للعيوب النّسقيّة الّتي تخفّت وأضمرت داخل النّصوص الأدبيّة، وراح يبحث في الجماليات فقط، ويرى العديد من الباحثين أنّ النّقد الثّقافي مرحلة تُلغي النّقد الأدبي وتُقصيه، لكن لو تأمّلنا فقط تسمية هذا الحقل المعرفي وما يشتغل به: مصطلحاته مثلا: دلالة نسقيّة، تورية، وظيفة نسقيّة، مجاز، جملة ثقافيّة، والّتي هي امتدادٌ للنّقد الأدبي والبلاغة الّتي اتّهمها بالشّيخوخة، وما فعله هو إضافته لصفة الثّقافة، وهو ما يجعلنا نطرح سؤالا: كيف سيموت النّقد الأدبي؟ هل بتجاوز دراسة الجماليات إلى تتبّع العيوب النّسقيّة؟ وهل سيكون ذلك عودة للنّقد الانطباعي؟ وهل هذه الموضة النّقديّة المؤمنة بالإقصاء هي قَدَر النّص والمنهج النّقدي؟

هناك من يعتبر النّقد الثّقافي منهجا نقديا ومرحلة مواليّة للمناهج النّقديّة الما بعد حداثيّة، وهناك من يعدّه قطيعة ايبستيمولوجيّة معه، وهو نقد يهدف للكشف كما أشرنا سابقا عن الأنساق الثّقافيّة المضمرة في النّص الأدبي، وهي أنساق تتخفّى ولا تظهر بسهولة حتّى للكاتب نفسه، وهي عبارة عن وحدات تجمعها خصائص معيّنة وأهداف في سياق ما، يتمُّ استخراجه عبر تفكيك بنية النّص الدّاخليّة وِفق ما يحتاجه النّاقد الثّقافي من أيّ منهج أدبي، والّذي يتّهمه 'الغذامي' بالعمى الثّقافي، والعجز عن الكشف عن هذه الأنساق المضمرة؛ لاهتمامه المنصب على جمالية الأدب، وهو ما يبحث فيه النّقد الثّقافي: ما يقوله الكاتب الحقيقي مُنتج الأنساق الجماليّة وما يتخفّى وراءه ويُضمر خلف لغته، باستحضار مصطلح الفاعل الثّقافي الّذي ينتج الأنساق الثّقافية.

تُحلّل الخطابات والأنساق في ضوء معايير ثقافيّة، وأخلاقيّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، وذلك من خلال تكامل منهجي، للكشف عن عيوب الثّقافة في النّص الأدبي الّذي يتحوّل إلى نسق ثقافي، له وظيفة نسقيّة يُضمر أكثر ممّا يُظهر، فكما يقول 'الغذامي' فإنّ النّقد الثّقافي هو "قراءة للأنساق ليس قراءة للنّصوص" يعني تحوّل النّص الأدبي إلى حالة ثقافيّة، وقراءة في الآلية المنهجيّة للكشف عن المضمرات.

اختلفت نظرة 'الغذامي' عن النّاقد الأمريكي مُؤسّس النّقد الثّقافي في الغرب 'ليتش'، حيث رفض هذا الأخير فصل النّقد الأدبي عن الثّقافي، بيدَ أنّ 'الغذامي' يفصل بينهما، ناسبا ترعرع النّقد الأدبي في أحضان البلاغة، يهتمّ بتتبّع الجماليات، يتّهمه بأنّه قديم وحديث في الوقت نفسه، لم يتعامل إلّا مع تلك النّصوص الّتي تعترف بها المؤسّسة الثّقافيّة، واستبعد الظّواهر الثّقافيّة، واتّهمه بالعجز في الكشف عن القبح المتخفّى تحت ستائر البلاغة، وهو ما جاء النّقد الثّقافي لمعالجته وكشفه، وليحلّ محلّ النّقد الأدبي، وما يُعاب على النّقد الثّقافي زيادة على ما سبق هو "التّناقض الّذي يشوب مشروع الغذامي في المفاهيم والمنهج" 10 وكذا الآليات.

نقول حتّى وإن كان النّقد الثّقافي نقطة تحوّل من قراءة النّص إلى قراءة الأنساق، ومن البحث عن جماليات الأدب إلى قبحيات وعيوب الثّقافة، ومن سؤال النّص إلى سؤال النّسق، ومن البحث عن الدّال إلى المضمر، وانتقال من كاتب واحد إلى مؤلّف مزدوج، جمالي وثقافي ،ومن المتلقّي النّخبوي إلى الجمهور، ومن المركزي الإبداعي إلى المهمّش، فإنّه يظلّ ممارسة واجتهادا قرائيّا تطويريّا، لن يُلغي النّقد الأدبي ولن يكون بديلا عنه.

فالنّقد الثّقافي يأخذ من مناهج النّقد الأدبي ويتّكئُ في خطواته المنهجيّة على كل المعارف والعلوم من فلسفة، تاريخ، علم اجتماع ونقد أدبي، عبر مرحلة المناص الثّقافي والتّشريح الدّاخلي وكذا التّأويل أو ما يُعرف بالرّصد الثّقافي.

خامسا-النّقد الأدبي ومقولات الموت: موت المؤلّف، موت النّقد الأدبي، موت النّاقد:

وكما أشرنا سابقا فإنّ من أبرز إشكالات النّظريّة النّقدية ميلاد الفكر الإقصائي وإشكاليّة الموت في النّقد الأدبي، والنّاتجة عن خلفيات فلسفيّة عدميّة، فمن 'موت الإله' (النيتشويّة) إلى' موت الإنسان'(الفوكاويّة) ومن موت المؤلّف (البارتيّة) إلى موت النّاقد عند (ماكدونالد) و'موت النّقد الأدبي' عند (الغذامي).

1-موت المؤلّف:

ففيما يخصّ مقولة 'موت المؤلّف' والّتي لها خلفيّات معرفيّة، وفلسفيّة تعود إلى مقولة 'موت الإله' عند 'نيتشه' و'موت الإنسان' عند ميشال فوكو'، يرى مُطلقها 'رولان بارت' بأنّ "نسبة النّص إلى مؤلّفه، معناها إيقاف النّص وحصره وإعطاؤه مدلولا نهائيّا، إنّها إغلاق للكتابة"11 وتجاوز للمعنى الإيديولوجي، وتصريح بأحقيّة البنية النّصيّة واللّغوية في الإفصاح عن دلالاتها، وهو إعلان صريح لميلاد نصّ القارئ الّذي احتفت به نظريّات القراءة والتّلقي، وأعادت له دوره في التّأويل.

تؤسّس مقولة 'موت المؤلّف' هذه لانفتاح النّص على التّعدّد القرائي، حيث يعتبر 'رولان بارت' الكاتب من "صنيع اللّغة يقع في حبال حرب منتوجات الخيال، غير أنّه ليس إلّا لعبة فيها[...] إنّه ضروريّ للمعنى ولكنّه محروم هو ذاته من المعنى"12 تُحقّق له الكلمات مُتعةً، لكنّها لا ترتبط بواقعه، وإنّما بجملة التّصورات والتخيّلات والكلمات المنحرفة عن حقيقة الواقع، من هنا يعتبر مجانيّة حصوله على هذه الكلمات والكتابة تساوي مجانيّة موته، ويربط هذا الأخير استمرار النّص بوجود القارئ الّذي يشعر بلذّة ومُتعة القراءة وهو يتتبّع دوال النّص.

وقد خلقت مقولة 'موت المؤلّف' إشكالات عديدة، ولعلّ أبرزها فكرة أنّ القارئ هو مُنتج المعنى بدلا من المؤلّف، وإذا ما تحدّثنا عن تعدّديّة القراءات وكثرة التّأويلات وإذا ما كان قارئ النّص غير متخصّص فإنّ ما سينتج عن ذلك هو فوضى القراءة.

2-موتُ النّقد الأدبي:

وقام النّقد الثّقافي على فكرة موت النّقد الأدبي الّذي اتّهمه بالعمى الثّقافي، حيث ظهرت بداية مع "رونالدو مكدونالد" وقد طرحت الكثير من التّساؤلات والاستفهامات من قبل النّقاد والدّارسين وكان أولّها: من سيبقى على السّاحة النّقدية؟ وأين محل العمل الأدبي إن كان النّاقد غائبا؟ إذا لم ينسب العمل للمؤلّف، وكان النّاقد مفقودا"13 وهو ما يحيل على جدليّة العلاقة بين النّص الإبداعي والمنهج النّقدي، فلا استمراريّة للنّص دون نقد، ولاوجود للنّقد دون نصٍّ، كما لا نصَّ للنّاقد يُحكِّمُه ويقيّمه دون مؤلّف، ولا قيمةَ لكاتبٍ دون ناقدٍ يتتبَّعُ أعماله ويفسّرها، فإن كان الفكر الغربي محكوم بتهميش المركزيّات ومشبّعٌ بالعدميّة والفكر الإقصائيّ، فإنّ نشأة سلسلة الموت هذه نتيجة للتّأثّر بالآخر، وما السّبيل لتحقيق توازن في القراءة النّقديّة للنّصوص الأدبيّة إلّا سعيُ النّاقد وحرصه على إدراك حقيقة كلّ منهج وكلّ مصطلح والوعي به؛ حتّى لا يبخس المتن المدروس حقّه ولا يتجاوز خصوصيّته.

كما ترتبط في النّقد العربي المعاصر بالنّاقد السّعودي 'عبد الله الغذّامي' الّذي أعلن عن موت النّقد الأدبي، ونهاية مهمّة النّاقد بتتبّع جماليات النّص بظهور النّقد الثّقافي الّذي يبحث في العيوب الثّقافيّة،والأنساق التي تتخلّل النّص، وقد لقيت هذه الفكرة الّتي تُقصي النّقد رفضا من لدن النّقاد.

3-موت النّاقد:

والإشكال الأخطر هنا ما أشار إليه الأكاديمي البريطاني' رونان ماكدونالد' فيما يخصّ دخول أيّا كان إلى ميدان النّقد وتسمية نفسه ناقدا، وهو ما دفع به ليطلق مقولة 'موت النّاقد' بدخول غير المتخصّصين معه ومشاركته مهامه في ظلّ ظهور النّقد الثّقافي والدّراسات الثّقافيّة، ويعلن بذلك تحرّر القارئ من تحكّم النّاقد في تحديد ذائقته.

حيث يقول 'فخري صالح' مترجم كتاب 'موت النّاقد' لقد" شحب دور النّاقد وتضاءل حضوره أيضا بسبب ابتعاده عن كتابة ما نسمّيه في الحقل النّقدي العربي "النقد التّنويري"، وانسحابه إلى صومعته الأكاديميّة مكتفيا بكتابة دراسات وبحوث مليئة بلغة الرّطانة الّتي لا تفهمها سوى نُخَبٌ متخصّصة عالمة باللّغة الاصطلاحيّة"14 وكلّ ما له صلة بالتّقنيات النّقديّة ومفاهيم تلك القراءة، ففي هذا المقام لا بأس بالتّذكير بواقع المصطلحيّة العربيّة الّتي شهدت دخولا لغير المتخصّصين والمترجمين ،وهو ما خلق تعدّدا اصطلاحيا في البيئة العربيّة ،عندما تعدّدت الدّراسات وتباينت التّرجمات بين المشّرق والمغرب وفي البلد الواحد، وراح كلّ ناقد أو مدّعي النّقد يطلق تسمية، ما خلق أزمة نقديّة وفوضى. فموت النّقد وموت القيمة بميلاد القارئ غير المتخصّص يُشكّل خطرا على النّص والنّقد معا، ويحقّق مساواة بين النّاقد المتخصّص وأيّ قارئ عادي، وهو ما يؤثّر سلبا على نجاعة وفعاليّة الإنتاجيّة القرائيّة.

إذ تمخّضت مقولة 'مكدونالد' هذه عن طرق تعامل المناهج النّقديّة مع النّص الأدبي، حيث سعت البنيّوية نحو اللّغة والنّظام ومستويات النّص قصد علمنة النّقد، وشكّك التّفكيك في اللّغة فابتعد عن النّص وعن القارئ، وسعى لتجاوز حكم القيمة لصعوبة القبض عن اللّغة وتأجيل الدّلالات، حيث شكّل هدفهم نحو التّجريب على الأدب جوهر بُعدهم عن تقييمه وتجاوز تذوّقه، وبنشوء الدّراسات الأكاديميّة صار القارئ العام ناقدا فمات النّقد وولد النّقد الثّقافي، وغدا النّصُ الأدبي بمثابة تصوّرات ثقافيّة وإيديولوجيّة بعيدا عن القيمة الجماليّة، من هنا نتساءل هل موت النّاقد يعني موت النّقد؟ هل موت النّقد يعني موت النّص؟ وهل مات النّاقد فعلا؟

يظلّ النّقد ممارسة عقليّة على العمل الإبداعي، ترمي للوصول إلى أحكام قيميّة وأخرى جماليّة، وغيرها ممّن يتجاوز ذلك إلى الأنساق المضمرة الّتي تكشف عيوبا نسقيّة دخلت لغة الكاتب دون وعي منه، فنقول مهْما اختلفت الآليات الإجرائيّة للمناهج النّقديّة، يبقى على النّاقد أن يضع النّص نصب عينيه بالدّرجة الأولى، فلا ينطقه بما ليس فيه، سعيا لإثبات نجاعة المنهج في المقاربة، كما أنّ موت النّاقد موت رمزي بفعل انحراف النّقد عن مساره الحقيقي في تقييم النّص الأدبي وانطلاقته نحو العلميّة، حيث" رغب النّقد الغربي في القرن العشرين في أن يكون جزءا من حقل المعرفة العلميّة الّتي تستند إلى التّجريب والاختبار والوقائع التي يمكن التّحقّق منها. لكنّه في طريقه لعلمنة النّقد أطاح بالجانب الشّخصي والفردي في تذوّق الأدب"[15] فكلّ مجال معرفي له سماته وخصائصه، فالأدب إبداع قبل كلّ شيء، فإلى أين يمضي به النّقد الذّي هدفه الأوّل ضمان استمراريّته، أفمن تجاوز جماليّته إلى عيوبه ومن قتل مؤلّفه إلى قتل ناقده؟ هل هي رحلة عكسيّة وعودة للنّقد الانطباعي الذّاتي بنشأة مفهوم القارئ العام غير المتخصّص وتحقيق قراءة شعبيويّة باعتبار أنّ الكلّ غدا ناقدا –حسب ماكدونالد- باسم الإعلام والنّوادي والصّحف وشبكة النت؟

وفي سياق موت النّقد وحلّا لهذه الإشكاليّة وُلد حقل جديد، يطلق عليه 'النّقد المعرفي' الّذي يرنو إلى تجاوز إشكاليّة الموت في النّقد الأدبي، من خلال إقامته لحواريّة بين مجالات معرفيّة مختلفة، مع "مارك ترنر" وجورج لايكوف" و"بيتر سوتوكويل"[...] الّذي مثّل توجّها معرفيّا في النّقد المعاصر، يعمل على استثمار المنتجات النّقديّة بدل القول بإلغائها" أما فيما يخصّ النّقد المعرفي في البيئة العربيّة فتبنّى أفكاره كلّ من "محمد سالم سعد الله" ومحمد خليف الحياني"؛ سعيا منهم للحدّ من إشكال الإقصاء المنهجي عبر فكرة التّكامل المعرفي بين المناهج والنّظريّات، وتصويب الخلل الّذي وقع فيه النّقد الثّقافي من خلال تشجيعه على تحاور المعارف ورفض الفكر الإقصائي، فهل سيحقّق هذا الميدان المعرفي الجديد هدفه المنشود؟

يقول 'محمد سالم' فيما يخصّ طريقة عمل النّقد المعرفي، هو ميدان نقدي ومجال" يحاور النّقد الثّقافي، ويحتوي النّقد الأدبي، ويناقش النّقد الأيديولوجي العقدي، ويستوعب النّقد النّفسي والتّاريخي والاجتماعي، ويكتسب سمات معرفيّة متجدّدة ومتطوّرة بتطوّر النّهج الفكري العالمي في إطار الدّرس الحضاري بشقّيه الأكاديمي المؤسّساتي الجمعي، والإبداعي الفردي ذي الخصوصيّة"16 يتأسّس على فكرة التّكامل والشّموليّة في سبيل تجاوز إشكاليّة الموت والإقصاء، عبر تحاور المناهج والنّظريات؛ للكشف عن البعد المعرفي في النّص وفق رؤية نقديّة خاصّة قادرة على حلّ العديد من إشكالات النّص والنّقد المعاصر.

سادسا- جدليّة العلاقة بين النّص الأدبي والمنهج النّقدي: هل هي علاقة اتّصال أم انفصال؟

ظاهريّا يبدو أنّ طبيعة علاقة النّص الأدبي بالمناهج النّقديّة هي علاقة جدليّة بامتياز، اتّصال وانفصال في الوقت نفسه، ففيما يخصّ علاقة الاتّصال فإنّ نشأة النّص أسبق من المنهج، وهو ما يحيل على حاجة المنهج لنصّ موجودة قبله ليدرسه، ولولا وجود النّص الأدبي لما وجد منهج نقدي لتحكيمه، وهو ما يفرض علينا استحضار حقيقة منهجيّة لضمان موضوعيّة القراءة والحكم النّقدي، وهي تتبّع مقولة 'الجابري': "إنّ طبيعة النصّ هي الّتي تفرض المنهج".

فللنّص خصوصيّاته في بنائه، أفكاره، وخلفيّاته الّتي انطلق منها، فخلف كلّ نصّ صوت إيديولوجيّ وقضيّة ولا مجال للكاتب أن يتنصّل من المعنى الإيديولوجي، ولابدّ للمنهج مراعاة هذه الخصوصيّة؛ لضمان قراءة جادّة تسعى لتحديد مقاصد الكاتب الحقيقيّة.

وفي سياق تتبّع مقصديّة الكاتب تختلف الآليات والغايات ونتائج القراءة باختلاف المنهج، حيث ترتبط الدّراسات النّسقيّة بالدّلالات اللّغويّة النّسقيّة، وترتبط الدّراسات السياقيّة بدلالات سياقيّة، وهو ما يؤكّد أنّ القراءة النّقديّة ودلالاتها صارت مرتبطة بالمنهج لا بالنّص، وهو ما يثير عدّة إشكالات تتعلّق بالنّص وبالمنهج، بالمؤلّف وبالقارئ، فالنّص يحمل رسالة يريد الكاتب إيصالها للمتلقّي، ولو فرضنا أنّ الكاتب ملتزم بقضيّة وطنه أو بقضيّة دينيّة وكان النّاقد تفكيكيّا فهذه الرّسالة لن تصل؛ لأنّ طبيعة المنهج تختلف عن طبيعة النصّ، وغاية النّص تتعارض مع غاية المنهج، وهو ما يخلق فجوة بين القارئ والمقروء والكاتب، وفي هذه الحالة لابدّ من الانطلاق من النّص لا من المنهج، لتحقيق الحياد وتحديد مدلولات النّص.

لكنّ واقع الدّراسة النّقديّة للنّصوص وخاصّة التّراثيّة منها حسب-جابر عصفور- يؤكّد استحالة تطبيق البروتوكول سابق الذّكر على النّصوص التّراثيّة ،وذلك راجع لعوامل عدّة، منها غياب قراءة موضوعيّة للنّص التّراثي؛ ذلك أنّه " لا توجد قراءة بريئة أو محايدة للتّراث، ذلك لأنّنا عندما نقرأ التّراث ننطلق من مواقف فكريّة

محدّدة لا سبيل إلى تجاهلها"17 فمن خلال رسم غاية تحديث التّراث وجعله معاصرا لمفاهيم اليوم، وعبر طموح النقّاد في إثبات توجّهاتهم النّقديّة وقناعاتهم الفكريّة في الماضي قصد إكسابها شرعيّة، ولّدت إشكالية انفصال النّص عن المنهج عندما سقطت أقنعة القراءة الموضوعيّة، ولا حرج في ذلك مع النّص التّراثي حسب النّقاد الحداثيين، إذ يرى 'جابر عصفور' في هذا الصّدد أنّ النّص التّراثي متّصل ومنفصل عن قارئه، موجود في لا وعيه وحاضر، لكن زمنيا منفصل عنه، فكيف سنفهم القدامى يا ترى؟

وفي هذا يقول 'نصر حامد أبو زيد' بأنّ الباحث في النّص التّراثي" يبدأ "من موقفه الرّاهن وهمومه المعاصرة محاولا اكتشاف الماضي، والباحث في هذه الحالة يُسلّم بما يربطه بالماضي من علاقة جدليّة، وينطلق من حقّ الحاضر في فهم الماضي في ضوء همومه"18من هنا تتبدّى لنا جدليّة علاقة الحداثة والمعاصرة بالنّص التّراثي، والّتي تباينت المواقف إزّاءها، فهل أنّ المناهج الحداثيّة تُلغي النّصوص النّقديّة التّراثيّة؟ وهل أنّ المنهج النّقدي يركّز على هدف نجاح آلياته على حساب النص؟

ومن جهة أخرى يؤكّد 'جابر عصفور' على العلاقة الجدلية بين النّص المقروء الّذي تحكمه أنساق معرفيّة، والقارئ المعاصر الّذي اكتسب معارفه ومناهجه من الحداثة، الّتي لا يستطيع الجهل بها ولا تجاهلها فهي أنساق عصره، حيث اعتبر تجاهل مناهج وإنجازات الحداثة وعدم الأخذ بمناهج الآخر ضربا من التّخلّف، وراح يؤكّد في سياق قراءة النّص التّراثي النّقدي العربي عبر مقولات الحداثة بمقولته الشّهيرة 'الوعي الضدّي' والتّمرّد على الواقع والماضي، حيث يرى هذا الوعي" أنّ ما أنجز لم يعد يكفي، وأنّ ما هو واقع يمثّل عائقا أمام تشوّق الأنا وأحلامها" 19من هنا راح 'جابر عصفور' يؤسّس للشّعريّة العربيّة عبر ثلاثة نقّاد هم: 'ابن طباطبا'، 'قدامة بن جعفر' و 'حازم القرطاجنّي' الذّي عرف بوعيه الضدّي المتمرّد والحداثيّ في وقته، إذ"اختار العقل في عصر يعادي العقل، واختار الفلسفة في عصر يشكُّ في الفلسفة، واختار الارتباط بالماضي المتقدّم في عصر لم يعد يعي إلّا التّخلّف"20حيث عرف القرن السّابع للهجرة 'عصر القرطاجنّي' سقوط الحضارة الأندلسيّة مهد الشّعر والشّعراء، وراح يضع قوانين الشّعر من خلال البلاغة العربيّة والآخر اليوناني وبالتّحديد فلسفة المحاكاة لدى 'أفلاطون' و'أرسطو' على وجه الخصوص تقنيّة التّخييل في الشّعر.

وأخيرا يبدو أنّ تحديد طبيعة علاقة النّص الأدبي بالمناهج النّقديّة ليس بالأمر الهيّن، تبعا لعوامل عدّة، أبرزها إشكالات المنهج والقراءة النّقديّة من جهة، ومن جهة أخرى ما آلت إليه التّصوّرات الذّهنيّة للنّص على أنّه إبداع تارة، وأنّه حالة ثقافيّة تارة أخرى، ومن جهة تعامل النّاقد مع النّص، بين نظرة التّقديس والتّدنيس على حساب كشف نجاعة المنهج في المقاربة، ومن جهة الاتّصال والانفصال.

خاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النّتائج أهمّها:

-عرفت علاقة النّص الأدبي بالمنهج النّقدي تحوّلات وتغيّرات؛ كنتيجة طبيعيّة لتطوّر النّص الأدبي ومنه تطوّر آليات القراءة والمناهج النّقديّة.

- تربط المنهج النّقدي علاقة جدليّة بالنّص الأدبي، اتّصال وانفصال في الوقت نفسه، حيث أنّ النصّ يمثّل مرحلة سابقة لنشأة المنهج، الّذي يضمن له وجوده واستمراريّته، إذا ما تمّت مراعاة خصوصيات كلّ منهما،

فإن راعى خصوصيّاته اتّصل بمدلولاته ومقصديّته،وإن خالفها لتحقيق غايات رسمها سابقا لم يكن موضوعيّا وانفصل عن النصّ ليتّصل بالمنهج أكثر وكانتّ الدّلالة تبعا للمنهج نسقيّة أو سياقيّة، لسانيّة أورمزيّة.

-ولّد فعل القراءة اللاّموضوعيّة للنّص عدّة إشكاليات منها: إشكاليّة التّأصيل لمنجزات الحداثة في الماضي وإشكاليّة السّعي لإثبات قدرة المنهج على المقاربة دون مراعاة براديغم النّقد التّطبيقي بأنّ طبيعة النص هي الّتي تفرض المنهج.

- من أبرز إشكالات المناهج والقراءة النّقديّة بروز الفكر الإقصائي وموت النّظريات: موت المؤلّف، موت النّقد، موت النّاقد، وهي ما تحيل على الخلفيّة العدميّة لمؤسّسيها الغرب والّتي انتقلت بفعل الإعجاب العربي بالآخر دون مناقشة ولا منافسة، وهو ما يحمل آثار سلبيّة على النّقد والنّص، حيث حادت هذه المقولات عن غاية قراءة النّص إلى قتل مؤلّفه وناقده وكذا نقده، فمصير النّص الأدبي محكوم بمصير المنهج النّقدي فإن مات المنهج مات النّص.

- تُعدّ مقولات الموت هذه بمثابة موضة اصطلاحيّة تتبنّى الفكر الإلغائي التّجاوزي لكنّها لا تعني بالضّرورة نجاعتها ولا جديّتها، فالنّقد الثّقافي لن يحلّ محلّ النّقد الأدبي ويبقى استراتيجيّة قرائيّة تسعى لمقاربة الأنساق الثّقافيّة في النّص الّذي تَعُدُّه حالةً ثقافيّة، وما موت النّاقد بميلاد أي قارئ غير متخصّص، فالنّاقد يحتاج إلى لغة وآليات وفكر، وقد واجه هذا الأخير المتخصّص العديد من الإشكاليات فما بالك بناقد شعبوي.

هوامش وإحالات المقال

[1]-غنية جدع، يوسف لعايب: المصطلح النّقدي بين التّعدّد وإشكاليّة التّلقي، مجلّة الإبراهيمي للآداب والعلوم[1] الإنسانيّة، العدد4،المجلّد1، جامعة برج بوعريريج- الجزائر، أكتوبر2020،ص234.

-محمد بوعزّة: استراتيجيّة التّأويل من النّصيّة إلى التّفكيكيّة،منشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،2011،[2] ص،ص9،10.

-المرجع نفسه، ص39.[3]

[4]-Robert Alter: The pleasure of reading in an ideologicalAge,NewYork,Simon and Schuster Rockefeller conter,1989,P215.

[5]- محمد بوعزة: استراتيجيّة التّأويل، ص40.

[6]-ينظر المرجع نفسه،ص،ص،40،41.

[7]-المرجع نفسه، ص51.

[8]-أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثّقافي العربي،1، بيروت،1996،ص68.

[9]-المرجع السّابق، ص87.

[10]-نوال بن صالح: النقد الثّقافي في الخطاب النّقدي المعاصر قراءة في تلقّي مشروع عبد الله الغذامي، مجلّة كليّة الآداب واللّغات- جامعة خنشلة، العدد1،ص204.

[11]-عبد الخالق العف: موت المؤلّف لرولان بارت، منهج إجرائي أم إشكاليّة عقائديّة، الجامعة الإسلاميّة،غزة،2007،ص7.

[12]-رولان بارت: لذّة النص، ترجمة فؤاد صفا، الحسين سبحان، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء-المغرب،ط1،1988،ص39.

[13]-رانيا قدري، محمد عروس: النّقد المعرفي وتجاوز إشكاليّة الموت في النّقد المعاصر، مجلّة المدوّنة، المجلّد8، العدد1مارس 2021، ص489.

[14]- رونان ماكدونالد: موت النّاقد، ترجمة فخري صالح، المركز القومي للتّرجمة،دار العين،ط1،القاهرة،2014،ص،9،10.

[15]-المرجع نفسه، ص11.

[16]-محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظريّة النّقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع،الأردن،ط1،2013،ص3.

[17]- جابر عصفور: قراءة التّراث النّقدي، مؤسّسة عيبال،ط1،دب،1991،ص5.

[18]- نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة والتّأويل، المركز الثّقافي العربي، دط، الدار البيضاء-المغرب،2004،ص228.

[19]- جابر عصفور:هوامش على دفتر التنوير، الدار البيضاء-المغرب،المركز الثّقافي العربي،دط،ص61.

[20]- جابر عصفور:مفهوم الشّعر دراسة في التّراث النّقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط5، الإسكندريّة،1995،ص12.

قائمة المصادروالمراجع العربيّة:

1-بوعزّة محمد: استراتيجيّة التّأويل من النّصيّة إلى التّفكيكيّة، منشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،2011.

2- جدع غنية، يوسف لعايب: المصطلح النّقدي بين التّعدّد وإشكاليّة التّلقي، مجلّة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد4،المجلّد1، جامعة برج بوعريريج- الجزائر، أكتوبر2020.

3-أبو زيد نصر حامد: إشكاليات القراءة والتّأويل، المركز الثّقافي العربي، دط، الدار البيضاء-المغرب،2004.

4-سعد لله محمد سالم: مدخل إلى نظريّة النّقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن،ط1،2013.

5-بن صالح نوال: النقد الثّقافي في الخطاب النّقدي المعاصر قراءة في تلقّي مشروع عبد الله الغذامي،مجلّة كلية الآداب واللّغات-جامعة خنشلة، العدد1.

6- عصفور جابر: قراءة التّراث النّقدي، مؤسّسة عيبال،ط1،دب،1991.

7-عصفور جابر: مفهوم الشّعر دراسة في التّراث النّقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط5،الإسكندريّة،1995.

8-عصفور جابر: هوامش على دفتر التنوير، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثّقافي العربي، دط.

9-العف عبد الخالق: موت المؤلّف لرولان بارت، منهج إجرائي أم إشكاليّة عقائديّة، الجامعة الإسلاميّة، غزّة،2007.

10-قدري رانيا، محمد عروس: النّقد المعرفي وتجاوز إشكاليّة الموت في النّقد المعاصر، مجلّة المدوّنة، المجلّد8، العدد1مارس 2021.

المراجع والمصادر المترجمة والأجنبيّة:

1-- إيكو أمبرتو: القارئ في الحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثّقافي العربي،1، بيروت،1996.

2-بارت رولان: لذّة النص، ترجمة فؤاد صفا، الحسين سبحان، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء- المغرب، 2004.

3- ماكدونالد رونان: **موت** النّاقد، ترجمة فخري صالح، المركز القومي للتّرجمة، دار العين،ط1،القاهرة،2014.

4-Robert Alter: The pleasure of reading in an ideologicalAge,NewYork,Simon and Schuster Rockefeller conter,1989.